# الحكم على حافظ القرآن دون فهم لمعانيه بالضلال المبين هو الضلال المبين

---

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهداه.

أما بعد:

فمن أسوء وأغرب ما رأيت من استدلال في هذه الأيام؛ أن يُستدل بأثر عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه على تضليل حافظ القرآن، وأنه قد وقع في الضلال المبين، لا لشيء، إلا لكونه قد استقل بحفظ القرآن أو قراءته دون أن يفهم معناه!!.

مع أن الأثر نفسه من تأمله لوجده حجةً على المستدل به، ومُبطِلاً لقوله وحكمه، ولكننا وللأسف نعيش في زمان قليلٌ فُقهاؤه، كثيرٌ قُرَّاؤه، كما جاء ذلك عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه نفسه، وذلك قوله:

"إنك في زمان كثيرٌ فُقهاؤه، قليلٌ قُرَّاؤه، تُحفَظ فيه حدود القرآن، وتُضيَّع حروفُه، قليلٌ من يسأل، كثيرٌ من يُعطِي، يُطيلون فيه الصلاة، ويَقصُرون الخطبة، يُبَدُّون أعمالَهم قبل أهوائهم، وسيأتي على الناس زمانٌ قليلٌ فُقهاؤه، كثيرٌ قُرَّاؤه، يُحفَظ فيه حروف القرآن وتُضيَّع حدوده، كثيرٌ من يسأل، قليلٌ من يُعطِي، يُطيلون فيه الخطبة، ويَقصُرون الصلاة، يُبَدُّون فيه أهواءَهم قبل أعمالِهم".

وصدق رضي الله عنه، وهو أمر يُدرِكه كل من يتأمل أثر ابن مسعود رضي الله عنه؛ الذي استُدِلَّ به على تضليل حافظ القرآن أو قارئه دون فهمٍ لمعانيه.

وأثر ابن مسعود رضي الله عنه المُستَدَل به في هذا الباب هو:

"من تعلم القرآن فليتعلم الفرائض، ولا يكن كرجل لقيه أعرابي فقال له: يا عبد الله، أعرابي أم مهاجر؟ فإن قال: مهاجر، قال: إنسان من أهلي مات فكيف نقسم ميراثه، فإن علم كان خيرًا أعطاه الله إياه، وإن قال: لا أدري، قال: فما فضلكم علينا، إنكم تقرؤون القرآن، ولا تعلمون الفرائض؟".

ذكره المُستَدِل به، ثم قال معلِّقًا عليه:

"من فوائد أثر ابن مسعود رضي الله عنه: أهمية الفقه والفهم في القرآن الكريم عند أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، فالناس يشتركون في قراءة القرآن الكريم وحفظه ويتفاوتون في الفهم ومعرفة معاني كتاب الله تعالى، كما قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: إلا فهمًا يعطيه الله رجلاً في القرآن. [رواه البخاري (٣٠٤٧)].

ولذا كان لأصحاب النبي صلى الله عليه وسلم الفضيلة والمزية على سائر الناس بما فضَّلهم الله تعالى في معرفة كتابه العزيز، وأن سبيلهم في كيفية تلقي القرآن الكريم هو الطريق المستقيم والهدى المستبين، وغيره هو الضلال المبين ..."اهـ.

* والجواب على هذا الاستدلال وهذا التقرير والتعليق الباطل من وجوه:

– الوجه الأول: أن المراد من أثر ابن مسعود رضي الله عنه الحث على تعلم الفرائض وغيرها مما يحتاجه العالم ومَن هو مَرجعٌ للناس في الفتوى، وليس المراد منه المنع من حفظ القرآن أو من قراءته لمن لم يتعلم الفرائض أو غيرها من العلوم التي هي من فروض الكفاية، وليست هي من فروض

الأعيان، والأثر نفسه يُبيِّن هذا المعنى، ويرد على القائلين بتضليل حافظ القرآن دون فهمٍ لمعانيه قولهم، ويُبطِله، وهذا واضحٌ في الأثر نفسه وضوح الشمس في رائعة النهار، كما يقال.

فقول الأعرابي: "فما فضلكم علينا، إنكم تقرؤون القرآن، ولا تعلمون الفرائض؟"، المراد منه: "أننا وإياكم نقرأ القرآن، فلستم وحدكم من يقرأ القرآن"، وقد جاء في أحد ألفاظه ما هو صريح في دلالته على ذلك، وذلك قوله:

"فإن لقيه أعرابي قال: يا مهاجر، أتقرأ القرآن؟ قال: نعم، قال: وأنا أقرأ القرآن، فإن قال: تَفْرِض، قال: نعم، كان ذلك، وإن قال: لا، قال: فما فضلك عليَّ".

وذلك يعني: أن الأعرابي قد حفظ القرآن كما حفظه ذلكم "المهاجر"، وهذا ظاهرٌ في قول الأعرابي: "وأنا أقرأ القرآن"، أي: كما تقرأه أنت أيها "المهاجر".

ثم هذا الأعرابي مع حفظه القرآن وقراءته له دون تعلم الفرائض، لم نجد من هذا "المهاجر" أنْ أنكر عليه، أو حكم عليه بأنه قد وقع في الضلال المبين؛ لكونه قد حفظ القرآن دون أن يتعلم معه الفرائض، كما هو قول هذا المُستَدِل بأثر ابن مسعود رضي الله عنه!!.

بل لم نجد من عبد الله بن مسعود رضي الله عنه نفسه، وهو صاحب هذه المقولة؛ أنْ أنكر على هذا الأعرابي حفظه القرآن وقراءته له دون أن يتعلم معه الفرائض، ولا أنه حكم عليه بأنه قد وقع في الضلال المبين بسبب ذلك، كما هو تقرير هذا المُستَدِل بقوله!!.

– الوجه الثاني: أن الواضح من كلام هذا المستدل بأثر ابن مسعود رضي الله عنه ومما قرره فيه؛ أنه قد أدرك هذا المعنى المذكور في الوجه الأول، وهذا ظاهرٌ في قوله: "فالناس يشتركون في قراءة القرآن الكريم وحفظه ويتفاوتون في الفهم ومعرفة معاني كتاب الله تعالى"، إلا أنه وللأسف تعامل مع الأمر بما يصدق فيه قول عبد الله بن مسعود رضي الله عنه في وصفه لأهل هذا الزمان، حين قال:

"وسيأتي على الناس زمانٌ قليلٌ فُقهاؤُه، كثيرٌ قُرَّاؤُه، يُحفَظ فيه حروف القرآن وتُضيَّع حدوده، كثيرٌ من يسأل، قليلٌ من يُعطِي، يُطيلون فيه الخطبة، ويَقصُرون الصلاة، يُبَدُّون فيه أهواءَهم قبل أعمالِهم".

وهذا أمر واضح وللأسف، لأن كلامه هو نفسه، لو تأمَّله؛ لوجد فيه الرد الواضح البيِّن الذي يُبطِل قوله هو وتقريره في هذا الباب، فكونه يعلم بأن الناس يشتركون في قراءة القرآن الكريم وحفظه ويتفاوتون في الفهم ومعرفة معاني كتاب الله تعالى، هو وحده كافٍ لبيان بطلان هذا القول الذي يتبناه!!، وأن من الناس من يحفظ ويفهم، ومنهم من يحفظ وهو في فهمه أقل من الأول، ومنهم من يحفظ ولا يفهم، وهكذا، فالناس يتفاوتون في الحفظ وفي الفهم.

ومادام قد عرف هذا الأمر، وقال به وقرره، فكيف يريد من الناس جميعًا أنْ لا يحفظوا آيةً من كتاب الله عز وجل؛ إلا مع الوقوف عندها وتعلم تفسيرها، وأنْ لا يتعدوها لغيرها؛ وإلا كان حفظهم للقرآن وقراءتهم له خروجًا عن هدي الصحابة، وكان من الضلال المبين؟!!.

فالأمر لا يخرج عن أن يكون قد وقف على كلام ابن مسعود رضي الله عنه ولم يفهمه، فيصدق عليه – والحال هذه – قول ابن مسعود نفسه رضي الله عنه: "وسيأتي على الناس زمانٌ قليلٌ فُقهاؤُه، كثيرٌ قُرَّاؤُه"، أو أنه فهمه ولكنه ضيَّعه وضيَّع حدوده، فيصدق عليه قوله – والحال هذه –: "يُحفَظ فيه حروف القرآن وتُضيَّع حدوده، كثيرٌ من يسأل، قليلٌ من يُعطِي، يُطيلون فيه الخطبة، ويَقصُرون الصلاة، يُبَدُّون فيه أهواءَهم قبل أعمالِهم".

وقد تعدَّى هذا المُستَدِل بأثر ابن مسعود رضي الله عنه حدوده؛ إذ ألزم المسلمين بما لم يُلزمهم به الله عز وجل، ولا رسوله صلى الله عليه وسلم، وحكم عليهم بالضلال المبين بما ألزمهم هو به، وإلا فمن المعلوم أن قراءة القرآن وحفظه عن ظهر قلب من فروض الكفاية، كما أن تعلم تفسيره من فروض الكفاية أيضًا، وأنه لا تلازم بين حفظه وبين تعلم تفسيره، ويكفي العبد المسلم – لكي يخرج من الذم، ويسلم من الإثم – أن يَعلم منه ما يحتاجه لتصحيح عبادته، وتصحيح ما بينه وبين الله عز وجل، وأنْ لا يعبد الله عز وجل على جهل.

– الوجه الثالث: أن الأئمة قد رووا هذا الأثر، وفهموا منه ما هو مقرر في الوجه الأول، ولم نجد فيهم من قد فهمه بهذا الفهم، وضلَّل به حافظ القرآن دون فهم لمعانيه، وهو أمرٌ يُدركه كل من تتبع هذا الأثر، وما قاله الأئمة فيه، وأين وضعوه.

* فقد وضعه الإمام أبو عثمان سعيد بن منصور رحمه الله (ت: ٢٢٧هـ) تحت عنوان: "باب الحث على تعليم الفرائض".

* ووضعه الإمام أبو بكر ابن أبي شيبة رحمه الله (ت: ٢٣٥هـ) تحت عنوان: "ما قالوا في تعليم الفرائض".

* ووضعه الإمام أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي رحمه الله (ت: ٤٥٨هـ) تحت عنوان: "باب الحث على تعليم الفرائض".

وما مِن أحدٍ مِن الأئمة ذَكَرَه، إلا وذَكَرَه في كتاب الفرائض والمواريث، ولم نجد فيهم من حكم به على حافظ القرآن دون فهم لمعانيه بالضلال المبين!!.

– الوجه الرابع: أن مما يُظهِر فساد هذا القول وهذا الحكم أكثر وأكثر، أن هذه الدندنة التي يُدندن بها القائلون بتضليل حافظ القرآن دون فهمٍ لمعانيه، إنما هي دندنة بين السلفيين، وفي أوساطهم، وفيهم من هو منتسب لطلب العلم الشرعي، فليسوا خوارج، ولا أهل أهواء وبدع، ولا أهل فسق وفجور، بل أكثرهم ليسوا جهالاً أيضًا، وذلك يعني: أن الأمر الذي خَشِيَه الصحابة رضي الله عنهم، وخَشِيَه الأئمة على حَفَظَة القرآن – إنْ سلمنا لأصحاب هذه الدندنة جدلاً – منتفٍ، وغير متحقق هنا، ولا حاجة لنا إليه!!.

خاصة إذا عرفنا بأن المقصود في هذا الباب هو تعلم العلم الشرعي الذي يحتاج إليه العبد المسلم وينتفع به حال حفظه القرآن، وليس المقصود منه إلزام العبد المسلم بأن يقف عند كل آية يحفظها ليتعلم تفسيرها، وإلا كان مخالفًا لهدي الصحابة رضي الله عنهم، وخارجًا عن جماعتهم، كما صرنا نسمع هذه الأيام، والله المستعان!!.

– الوجه الخامس: أن قول هذا المُستَدِل بأثر ابن مسعود رضي الله عنه: "ولذا كان لأصحاب النبي صلى الله عليه وسلم الفضيلة والمزية على سائر الناس بما فضَّلهم الله تعالى في معرفة كتابه العزيز، وأن سبيلهم في كيفية تلقي القرآن الكريم هو الطريق المستقيم والهدى المستبين، وغيره هو الضلال المبين"؛ يحتمل أمرين، أحلاهما مر كما يقال.

* الأمر الأول: الجزم بأن كل من حفظ شيئًا من القرآن من الصحابة رضي الله عنهم وأرضاهم، فإنما حَفِظَه على هذه الطريقة التي يُقرِّرها، وهي أن يقف عند كل آية يحفظها، فيتعلم ما فيها من معانٍ وتفسير وأحكام، وأن كل من لم يحفظ أو يقرأ القرآن على هذه الطريقة المزعومة، كان حِفظُه وقراءته القرآن من الضلال المبين!!.

وهذا لا يقوله عاقل، فضلاً عن طالب علم، أو عالم، والأدلة كلها تنقضه، ولو لم يكن عندنا وبين أيدينا إلا أثر عمرو بن سلمة رحمه الله؛ لكفانا لرد هذا التقرير الباطل وهذا الإلزام الباطل الذي يصدق عليه أنه هو الضلال المبين، ولعلمنا يقينًا بأن الأمر محمول على الكمال والتمام، لا على الوجوب والإلزام.

* الأمر الثاني: تضليل أئمة الإسلام على مر العصور والأزمان، وأنهم قد وقعوا في الضلال المبين، إذ وجَّهوا الناس لحفظ القرآن، وأجازوا لهم ذلك؛ دون أن يُلزِموهم بتعلم التفسير، وبالوقوف عند كل آية يحفظونها منه، ليتعلَّموا ما فيها من معانٍ وتفسير وأحكام، لكيْ لا يقعوا في هذا الضلال المبين الذي هو ملازم لحافظ القرآن دون فهم لمعانيه، كما هي دعوى هذا المُستَدِل ومن وافقه من أصحاب هذا المذهب الباطل الغريب!!.

ومن عرف السنة وانضبط فيها؛ علم يقينًا بأن ما يقال ويقرر هنا من تضليل حافظ القرآن أو قارئه إن لم يتعلم معه التفسير، هو الضلال المبين، وليس الضلال المبين فيما يقوله الأئمة، ويفتون به!!.

بل وليعلم صاحب هذه الدعوى بأنه ليس بأحرص من هؤلاء الأئمة السلفيين على اتباع الصحابة رضي الله عنهم، ولا على الحذر والتحذير من مخالفتهم، ومن الخروج عن هديهم، وعن جماعتهم.

فليَرْبَع على نفسه، وليَعلَم أنه بمخالفته لهؤلاء الأئمة السلفيين، فإنه هو من وقع في الضلال المبين، وأنه أولى بأنْ يوصف بهذا الضلال المبين – الذي يدَّعيه – من هؤلاء الأئمة السلفيين!!.

* وأذكر من فتاوى أئمة السنة ما يظهر به بطلان هذا القول:

– أولاً: الإمام ابن باز رحمه الله (ت: ١٤٢٠هـ).

فقد بيَّن هذا المعنى بوضوح، وأنه يجوز للمسلم أن يقرأ القرآن وإن لم يفهم معناه، ثم بيَّن أن الفهم والتدبر لِمَا يقرأ ويحفظ أكمل له وأتم؛ وذلك في سؤال وُجِّه إليه، قال فيه السائل: هل يجوز قراءة القرآن دون فهم معانيه؟ نرجو التوضيح؟.

فأجاب: "نعم، يجوز أن يقرأ المؤمن والمؤمنة القرآن وإن لم يفهم المعنى، لكن يُشرع له التدبر والتعقل حتى يفهم، ويُراجع كتب التفسير إذا كان له فهم يستطيع به المراجعة، يُراجع كتب التفسير وكتب اللغة العربية حتى يستفيد من ذلك، ويسأل أهل العلم عما أشكل عليه، والمقصود أنه يتدبر؛ لأن الله سبحانه وتعالى قال: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾ [ص: ٢٩].

فالمؤمن يتدبر، يعني: يعتني بالقراءة ويُفكر في معناها، ويتعقل معناها؛ وبهذا يستفيد، وإن لم يستفد المعنى كاملاً فقد يستفيد معاني كثيرة، فيقرأ بتدبر وتعقل، والمرأة كذلك؛ حتى يستفيد من كلام ربه، وحتى يعرف مراده، وحتى يعمل بذلك، والله سبحانه يقول: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلۡقُرۡءَانَ أَمۡ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقۡفَالُهَآ﴾ [محمد: ٢٤].

فربنا عز وجل حثنا وحرضنا على التعقل والتدبر بكلامه سبحانه، فإذا قرأ المؤمن أو قرأت المؤمنة كتاب الله؛ فمشروعٌ لهما التدبر والتعقل والعناية بما يقرأ؛ حتى يستفيد من كلام الله، وحتى يعقل كلام الله، وحتى يعمل بما عرف من كلام الله، ويستعين في ذلك بكتب التفسير التي ألفها العلماء مثل تفسير ابن كثير، وتفسير ابن جرير، وتفسير البغوي، وتفسير الشوكاني، وغيرها من التفاسير، ويستفيد من كتب اللغة العربية، وهكذا يسأل أهل العلم المعروفين عنده بالعلم والفضل، يسألهم عما قد يشكل عليه"(فتاوى نور على الدرب ١ / ٣٣٢).

وقال في موطن آخر: "المشروع للمؤمن والمؤمنة العناية بالقرآن، والحرص على حفظ ما تيسر منه، لكن لا يجب على المكلف إلا الفاتحة، لأنها ركن الصلاة، هي الواجبة، ركن الصلاة الفاتحة، الحمد، يجب على كل مؤمن ومؤمنة أن يحفظها، وإذا تيسر له أن يحفظ سورًا من القرآن، من المفصل حتى يقرأ مع الفاتحة، فهذا سنة مؤكدة، جزء عم، أو جزء تبارك، أو ما تيسر من ذلك، هذا مطلوب، سنة، مشروع له أن يعتني بهذا الشيء، لكن الواجب قراءة الفاتحة، وإذا تيسر له حفظ القرآن كله، فهذه نعمة عظيمة، وسنة فيها خير كثير، لكن لا يلزم الناس حفظ القرآن، فرض كفاية، يجب أن يكون فيه من يحفظه، لكن لا يلزم فلان أو فلان حفظ القرآن، إنما يُشرع له ذلك، أو ما تيسر منه، كجزء عم

أو المفصل كله، من "ق" إلى آخر القرآن، هذا يسمى المفصل، يُشرع حفظ هذا المفصل، إذا تيسر ذلك، أو حفظ ما تيسر منه، جزء عم، نصف جزء عم، ما تيسر من السور، حتى يقرأ مع الفاتحة بعض السور، أما الواجب فالفاتحة ..."(فتاوى نور على الدرب ٢٦ / ١٣٧).

وحاشاه رحمه الله أن يكون قد وقع في الضلال المبين، إذ قرر خلاف ما يُريده المُستَدِل بأثر ابن مسعود رضي الله عنه!!.

– ثانيًا: الإمام الألباني رحمه الله (ت: ١٤٢٠هـ).

فقد طبَّق هذا المعنى عمليًّا، كما ذكر هو عن نفسه، وقد سئل: هل يجوز قراءة القرآن بالمصحف في صلاة القيام؟.

فأجاب: "لا، ...، تصوروا أنفسكم الآن تُصلون في عهد عمر صلاة القيام، من كان يؤمهم؟ أبيٌّ بن كعب، ولذلك لابد لنا أن نُوجِد أبيًّا، وهذه الطريقة – يعني القراءة من المصحف – لا تُوجِد أبيًّا ولا نصف أبيٍّ، ولذلك من محاضرتي أُذكِّر بالحديث المعروف ألا وهو قوله عليه السلام: "تعاهدوا هذا القرآن وتغنوا به فوالذي نفس محمد بيده إنه أشد تفلتًا من صدور الرجال من الإبل من عقلها".

تعاهدوا هذا القرآن؛ الذين يَؤمُّون الناس في المساجد من المصحف ولا مؤاخذة مع احترامي لأي إمام يؤم الناس من المصحف، هؤلاء لا أقول بأنهم كسالى، أقول: على الأقل إنهم ما نفذوا هذا الأمر النبوي "تعاهدوا هذا القرآن"، ما معنى تعاهدوا: مبيَّن في تمام الحديث، إذا لم يظل الحافظ مكررًا لِمَا يحفظه من القرآن ليلاً نهارًا، فسينفلت منه كما تنفلت الإبل الشاردة من عقلها، من مرابطها، معروفة الإبل عند أصحاب الإبل بأن طبعها يُضرَب بها المثل فيقال: أحقد من جمل، فهو شديد الحقد، وشديد الشرود؛ حتى إنه ليقطع الحبل مهما كان متينًا، ولذلك قال عليه السلام وهو يخاطب العرب أصحاب الإبل إنه أشد تفلتًا من صدور الرجال من عقلها، فإذا لم يُعنَ أفراد من المسلمين، وهذا واجب كفائي، إذا قام به البعض سقط عن الباقين، يضطرون إلى أن يلجأوا إلى القراءة من المصحف، هل كان هكذا السلف الصالح؟ طبعًا لم يكونوا كذلك، إذًا لابد من أن نُوجِد طلبة يَحفظون القرآن، ويُحسنون تلاوة القرآن، وبالتالي يَؤمُّون الناس ولو كانوا أطفالاً، والمقتدون من ورائهم كانوا شيوخًا؛ لأن العبرة بالحافظ، وليس بالعالم، ولذلك أنا كثيرًا وترونني قد أشرفت على الثمانين أصلي وراء الشباب، لأنهم أحفظ مني للقرآن؛ تطبيقًا لقوله عليه السلام: "يؤم القوم أقرؤهم لكتاب الله، فإن كانوا في القراءة سواء، فأعلمهم بالسنة، فإن كانوا في السنة سواء، فأكبرهم سنًّا"، أين جئت أنا؛ في المرتبة الثالثة، "فإن كانوا في السن سواء، فأقدمهم هجرة"، إذًا يؤم القوم أقرؤهم لكتاب الله، فيجب أن يؤم القوم في صلاة التراويح أقرؤهم لكتاب الله، وأنا حين أقول هذا، أعلم أنه قد يكون هناك صبيان صغار يحفظون أكثر من رجالات كبار، ولكن قد لا يحسنون الصلاة، فيكون سلوك هذا الخط في تطبيق هذا الحديث وسيلة شرعية لتعليم بعض هؤلاء الأطفال الحُفَّاظ كيفية الصلاة؛ حتى يُصلوها مع الجماعة ويَؤمُّون الناس وبصلاة يُحسنونها، كما أمر بها رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وختامًا أُذكِّر بحديث رجل من صغار الصحابة اسمه عمر بن أبي سلمة – والمعني في هذه الرواية هو: عمرو بن سلمة الجرمي رحمه الله، وليس هو: عمر بن أبي سلمة رضي الله عنه – أبوه أبو سلمة كان من أوائل الأنصار الذين آمنوا برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قبل هجرته عليه السلام إلى المدينة، وكان هؤلاء الأنصار يذهبون إلى مكة معتمرين للقاء الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، وليتلقوا منه ما قد يكون قد نزل من أحكام شرعية جديدة، فسافر أبوه مرة ورجع هو وجماعة من كبار الأنصار، معهم حكم جديد علَّمهم الرسول إيَّاه، وهي: أن يُصلوا جماعة، وقد كانوا من قبل يُصلون فرادى، فجاؤوا وهم يحملون حكمًا جديدًا، وعلَّمهم الرسول هذا الحديث "يَؤم القوم أقرؤهم لكتاب الله" إلى آخر الحديث، قال عمر هذا: فنظروا في المدينة فلم يجدوا أقرأ مني، ولم يجدوا أحفظ مني، وعمره بين السابعة والتاسعة، هكذا جاءت الرواية، يعني بالكثير عمره تسع سنوات، قال: فقدموني أصلي بهم إمامًا، رجالات كبار بِلِحَى يصلون وراء طفل صغير ابن تسع سنين بالكثير، ومن طفولته أنه كان عليه كما جاء في الحديث شملة؛ يعني: إزار من قماش ثقيل خميل، فلما كان يسجد كان يرتفع هذا القماش من فوقه والنساء يُصلين خلف الرجال كما هي السنة، فينكشف شيء من عورته، فما كاد يُسلِّم هذا الغلام من الصلاة وإذا بامرأة تصيح من وراء الرجال استروا عنا است

إمامكم، قال: فاشتروا لي ثوبًا، فما فرحت بشيء فرحي بمثل فرحي بهذا الثوب، طفل مع ذلك أَمَّ الرجالات الكبار، فإذًا علينا أن نُعنَى بحفظ القرآن، وأن نتشبَّه بسلفنا الصالح"(سلسلة الهدى والنور، الشريط رقم: ٦٩٤).

وحاشاه رحمه الله أيضًا أن يكون قد وقع في الضلال المبين، إذ قرر خلاف ما يُريده المُستَدِل بأثر ابن مسعود رضي الله عنه!!.

– ثالثًا: الإمام ابن عثيمين رحمه الله (ت: ١٤٢١هـ).

فقد بيَّن هذا الأمر بيانًا شافيًا أيضًا، وذلك في سؤال وُجِّه إليه، قال فيه السائل: طالب العلم هل يبدأ بحفظ القرآن الكريم أم بقراءة كتب العلم؟.

فأجاب: "يبدأ بحفظ القرآن؛ حفظ القرآن لا شيء قبله مما يحفظه الإنسان؛ لأن القرآن كلام الله، وتلاوته عبادة، وتدبُّره عبادة، والعمل بما يدل عليه عبادة، وتصديق خبره عبادة، فهو أفضل الكتب المنزلة من الله عز وجل، وأفضل من الكتب المُؤلَّفة من الناس، ولا سواء، فليبدأ الإنسان بحفظ القرآن الكريم، ثم بما صحَّ من سنة الرسول صلى الله عليه وعلى آله وسلم؛ كعمدة الأحكام للحافظ عبد الغني المقدسي رحمه الله؛ فإنه كتاب مختصر جدًّا في الأحكام، ثم بما تيسَّر له من كتب أهل العلم في العقيدة وغيرها"(فتاوى نور على الدرب ٢ / ٢٥).

وسئل رحمه الله عن حفظ القرآن دون تجويدٍ أو فهمٍ لمعانيه، هل فيه شيء؟.

فأجاب: "الطريق إلى ذلك أن يحفظ الإنسان خمسة آياتٍ حتى يُتقِنَها، ثم خمس آياتٍ حتى يُتقِنَها، ثم خمس آياتٍ حتى يُتقِنَها، فإذا أتمَّ جزءًا كاملاً عاد فتعاهد ما حفظه حتى يعلم أنه لم يَنسَه، ثم يأخذ في الجزء الثاني كما أخذ في الجزء الأول حتى ينتهي من القرآن، ولا يُشترَط أن يكون بالتجويد، ولا أن يعرف معناه، التجويد ما هو إلا تحسينٌ للفظ وليس بواجب، والمعنى يُمكنه بعد أن يُكمل الحفظ أن يقرأ من التفاسير المأمونة الموثوقة ما ينتفع به"(فتاوى نور على الدرب ٢ / ٤٣).

وحاشاه رحمه الله أيضًا أن يكون قد وقع في الضلال المبين، إذ قرر خلاف ما يُريده المُستَدِل بأثر ابن مسعود رضي الله عنه!!.

– رابعًا: الإمام صالح الفوزان حفظه الله.

فقد بيَّن هذا الأمر أيضًا بيانًا شافيًا، وذلك في سؤال وُجِّه إليه، قال فيه السائل: هل يحفظ طالب العلم القرآن وحده حتى يُكمِله أو يَجمع بينه وبين المتون؟.

فأجاب: "والله المستحسن أن حفظ القرآن يكون في الصغر، أن الطفل إذا مَيَّز يُبدَأ معه حفظ القرآن، فيحفظ القرآن أول شيء، أول شيء يحفظ القرآن، ثم بعد ذلك يطلب العلم، يطلب العلم بعد حفظ القرآن، فطالب العلم كونه يحفظ القرآن أولاً أحسن إذا أمكَن، وإذا لم يُمكن؛ حفظ القرآن ليس ضروريًّا، يكفي قراءة القرآن، يكفي أنه يُحسِن قراءة القرآن، ولو نظرًا من المصحف لا بأس؛ لكن إذا حصل حفظ؛ فهو لا شك أنه أحسن، ويمكن أن يجمع بين الحفظ وبين تعلم العلم، يمكن هذا، يجعل لحفظ القرآن وقت، ويجعل لتعلم العلم وقتًا آخر"(بصوته من موقعه على شبكة الإنترنت).

وسئل حفظه الله: هناك من يقول بأن المسابقات لأجل حفظ القرآن الكريم من البدع؟.

فأجاب: "لا ما هو من البدع، هذا من التشجيع على الخير، وهذا يقول ابن القيم أنه من الجهاد في سبيل الله، لأن طلب العلم وحفظ القرآن وتعليمه؛ هذا من الجهاد في سبيل الله، فيجوز أخذ الجوائز عليه"(منشور بصوته على شبكة الإنترنت تحت عنوان: الرد على من يقول أنَّ مسابقات حفظ القرآن الكريم من البدع).

وسئل: ما رأي فضيلتكم فيمن يبدأ بحفظ المتون العلمية وهو لم يحفظ القرآن الكريم أو لم يُتِم حفظه، وما هي أفضل طريقة لحفظ القرآن؟.

فأجاب: "لا شك أنَّ البِدَاءَ بالقرآن؛ حفظ القرآن، هذا هو الوجهة السليمة، وكان السلف أول ما يُحفِّظونه أولادهم القرآن، يُحفِّظونهم وهم في سن التمييز، ثم بعد ذلك يُحفِّظونهم مسائل العلم، فالقرآن هو الأساس، وطريقة حفظ القرآن الناس يختلفون فيها، كلٌّ يحفظ القرآن بحسب ما يتيسَّر له، حسب الوقت المتيسِّر له، وبحسب القدر المتيسِّر له يوميًّا، تختلف ظروف الناس"(منشور بصوته على شبكة الإنترنت تحت عنوان: الطريقة السليمة هي حفظ القرآن قبل حفظ المتون).

وحاشاه حفظه الله أيضًا أن يكون قد وقع في الضلال المبين، إذ قرر خلاف ما يُريده المُستَدِل بأثر ابن مسعود رضي الله عنه!!.

* وما أكثر أقوال أئمة السنة في هذا الباب، ويكفي صاحب السنة أن يرى ما عليه هؤلاء الأئمة الأربعة – أئمة هذا الزمان – في هذا الباب، وهو قطعًا مذهب مَن قبلهم ومَن بعدهم من الأئمة والعلماء السلفيين، والذين حاشاهم ثم حاشاهم ثم حاشاهم أن يكون قولهم هو الضلال المبين، وصدق الله العظيم إذ يقول: ﴿قُل رَّبِّيٓ أَعۡلَمُ مَن جَآءَ بِٱلۡهُدَىٰ وَمَنۡ هُوَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ﴾ [القصص: ٨٥].

ووالله وبالله وتالله لَقول هؤلاء الأئمة هو الحق المبين، وهو ما عليه أهل السنة والجماعة في كل زمان ومكان، وهو الهدى المستقيم، وما خالفه وخرج عنه فهو الضلال المبين.

فالضلال المبين هو قول من خالف الأئمة وخرج عن قولهم، وليس هو قول الأئمة، وهم أتبع للصحابة وللتابعين ولأئمة أهل السنة والجماعة من أصحاب هذه الدعوى؛ الذين يظنون أنفسهم أتبع الناس للصحابة رضي الله عنهم وأرضاهم، وهيهات هيهات!!.

وختامًا أقول:

مما ينبغي على السلفيين – حقيقة – أن يفطنوا لمثل هذه التقريرات الملغومة المسمومة الباطلة، التي تحمل في طياتها السم الزعاف، وأنْ لا يَقبلوا بنشرها بينهم، وفيما تحت أيديهم من وسائل التواصل، وليعلموا بأن إدراك مثل هذه الأفكار المسمومة، وكشفها، وتجنيب السلفيين إياها، هو من السهولة بمكان لمن وفقه الله عز وجل، وخير مثال على ذلك؛ هذه المسألة التي بين أيدينا، إذ ما من عالم من علماء السنة يُسأل عن حفظ القرآن أو عن قراءته، أو حفظ أو قراءة شيء منه، إلا ويأمر به، وينصح به، ويحث عليه، وهو عنده من فروض الكفاية، فالقول بأن هؤلاء العلماء الذين أمروا بذلك وأجازوه قد خالفوا الصحابة رضي الله عنهم، وخرجوا عن هديهم وجماعتهم، ووقعوا في الضلال المبين؛ لهو والله الضلال المبين، أراد قائله هذا المعنى أم لم يُرِده، فهذا لازم قوله، وسواء أراده أم لم يُرِده؛ فهو أمر لا يهمنا ولا يعنينا، وإنما الذي يهمنا هو أنْ يُرَد الباطل، وأنْ لا يُقرَّر بيننا، أيًّا كان نوعه، وأن معرفته إن كان حقًّا أو باطلاً قد تسهل ويُستَدَل عليها بمعرفة ما عليه الأئمة، لا بمخالفتهم وتضليلهم وتضليل أقوالهم.

والمقصود: ليكن السلفيون على حذر شديد في هذه الأمور، خاصة في وسائل التواصل – سواء في القروبات أو غيرها – لأنها المكان الذي يحرص عليه كل صاحب نحلة وباطل، وصاحب الباطل لا يخنس إلا إذا عُرِف مغزاه، وكُشِف أمره، وطولب بالتصريح بأسماء من يعنيهم في حكمه وفي كلامه وطعنه، وأُلزِم بإلزامات تكشفه وتُعرِّيه، في هذه الحالة فقط يفر من بينهم؛ إذ علم أنه انفضح وانكشف أمره، وما يدعو إليه، وبهذا يَسلم المسلم على دينه، ولا يجعل قلبه كالسفنجة؛ تجتمع فيها الشبهات.

ورحم الله الإمام ابن القيم (ت: ٧٥١هـ) إذ يقول:

"وقال لي شيخ الإسلام رضي الله عنه – وقد جعلتُ أُورِدُ عليه إيرادًا بعد إيراد –: "لا تجعل قلبَك للإيرادات والشبهات مثل السِّفِنْجَة، فيتشرَّبها، فلا ينضح إلا بها، ولكن اجعله كالزجاجة المُصْمَتة، تمرُّ الشبهات بظاهرها ولا تستقر فيها، فيراها بصفائه، ويدفعُها بصلابته، وإلا فإذا أَشْرَبتَ قلبَك كلَّ شبهةٍ تمرُّ عليك صار مقرًّا للشبهات"، أو كما قال، فما أعلمُ أني انتفعتُ بوصيَّةٍ في دفع الشبهات كانتفاعي بذلك"(مفتاح دار السعادة ١ / ٣٩٥).

هذا وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ومن تبعهم بإحسان وسار على نهجهم واقتفى أثرهم إلى يوم الدين.

كتبه

علي حسين الفيلكاوي

وكان الفراغ منه

يوم الأحد ٩ ربيع الأول ١٤٤٥هـ

الموافق ٢٤ / ٩ / ٢٠٢٣م